والاختبار ليضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فيكون اعظم لاجورهم لانه ادل على
ثباتهم وجعل مدة خلقها ضعف مدة خلق السموات مع كونها اصغر من السما
لالة على انها هي المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين فزادت لما فيها من كثرة
المنافع وتباين اصناف الاعراض والجواهر لان ذلك ادخل في المنة على
سكانها والاعتنا بشانهم وشانها وزادت ايضا لما فيها من الابتلا بالمعاصي
والمجاهدات والمجادلات والمعالجات كل ذلك دلالة على ان المدة ما هي
لاجل القدرة بل لاجل التنبيه على ما في القدرة من المقدور وعجايب الامور
قال البقاعي ولعل تخصيص السما بقصر المدة دون العكس لاجرامها
عاما لتعارفه من ان بنا السقف اخف من بنا البيت تنبيها على انه بناه من
دار باهذه على الاسباب تعليما للتاني وتدريبا للسكينة والبعد من العجلة
وقوله تعالى **للسايلين** فيه ثلاثة اوجه احدها انه متعلق بسوا بمعنى
مستويات للسايلين ثانيها انه متعلق بقدر اي قدر فيها اقواتها لاجل
الطالبين لها المحتاجين المقتاتين ثالثها انه متعلق بمحذوف كانه قيل
هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها ولما كانت السموات اعظم
من الارض في ذاتها باتساعها وزينتها ودوران افلاكها وارتفاعها نبه على
ذلك بالتعبير باداة التراخي ولفظ الاستوا حرف الغاية الدال على عظم
الغاية فقال تعالى **ثم استوى** اي قصد قصدا هو القصد منتهيا قصده
الى السما وهي اي والحال انها **دخان** قال المفسرون هذا الدخان
بخار الماء وذلك ان عرش الرحمن كان على الما قبل خلق السموات والارض
كما قال تعالى وكان عرشه على الما ثم ان الله تعالى احدث في ذلك الما اضطرابا
فازبد وارتفع فخرج منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الما فخلق منه
اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات
فان قيل هذه الاية مشعرة بان خلق الارض كان قبل خلق السما
وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها مشعر بان خلق الارض بعد خلق
السما وذلك يوجب التناقض اجيب بان المشهور انه تعالى خلق
الارض اولا ثم خلق بعدها السما ثم بعد خلق السما دحا الارض ومدها
وحينيذ فلا تناقض قال الرازي وهذا الجواب مشكل لان الله
تعالى خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي
من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها
في الوجود الا بعد ان صارت الارض منبسطة ثم انه تعالى قال بعد
ذلك ثم استوى الى السما فهذا يقتضي ان الله تعالى خلق السما بعد
خلق الارض وبعد ان جعلها مدحوة وحينيذ يعود السوال ثم
قال والمختار عندي ان يقال السما مقدم على خلق الارض

وتاويل

وتاويل الاية ان يقال الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد والدليل عليه
قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن
فيكون وهذا محال ان الخلق ليس عبارة عن الايجاد والتكوين بل عبارة
عن التقدير والتقدير في حق الله تعالى هو كلمة بان سيوجد واذا ثبت
هذا فنقول قوله تعالى خلق الارض في يومين معناه انه قضى بحدوثه
في يومين وقضى الله تعالى انه سيحدث كذا في هذه كذا لا يقتضي حدوث
ذلك الشي في الحال فقضى الله تعالى بحدوث الارض في يومين قد تقدم
على احداث السما وحينيذ يزول السوال **فقال لها** اي السما
عقب هذا الاستوى **وللارض ايتيا** اي تعاليا وانقادا ومنه
قوله تعالى **طوعا او كرها** مصدران في موضع الحال اي طايعتين
او كارهتين **قالتا اتينا** اي نحن وما فينا وما بيننا **طايعين** اي
اي اتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في
المقدورات لا غير من غير ان يحقق شيا من الخطاب والجواب
ونحو ذلك قول القايل

قال الجدار للوتد لم تشقني ۞ قال الوتد سل من يدقني

فان قيل هلا قال طايعتين على اللفظ او طايعات على المعنى
لانهما سموات وارضون اجيب بانه لما جعلهن مخاطبات
ومجيبات ووصفهن بالطوع والكره فقال طايعين في موضع
طايعات نحو قوله ساجدين تنبيه جمع الامر لهما في الاخبار لا يدل
على جمعه في الزمان بل قد يكون القول لهما متعاقبا فان قيل ان الله تعالى
امر السما والارض فاطاعا كما ان الله تعالى انطق الجبال مع داود عليه
السلام فقال تعالى يا جبال اوبي معه والطير وانطق الايدي
والارجل فقال تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما
كانوا يعملون وقوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا
انطقنا الله الذي انطق كل شي واذا كان كذلك فكيف يستبعد ان
يخلق الله تعالى في ذات السموات والارض حياة وعقلا ثم توجه الامر
والتكليف عليهما ووجه هذا بوجوه الاول ان الاصل حمل اللفظ على
ظاهره الا ان يمنع منه مانع وههنا لا مانع الثاني انه تعالى جمعهما جمع
العقلا فقال تعالى قالتا اتينا طايعين الثالث قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن
منها وهذا يدل على كونها عارفة بالله تعالى عالمة بتوجه تكليف الله تعالى
واجاب الرازي عن هذا بان المراد من قوله تعالى ايتيا طوعا او كرها
الاتيان الى الوجود والحدوث والحصول وعلى هذا التقدير فحال توجه

Copyright King Saud University